رسائل منتحرين

ماذا لو تحدث القتلى لأنفسهم؟!

د.بسنت نشأت

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان: مدينة العبور- الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف: ٠١٠٠٠٣٢٨٨٥٩٦

بريد إلكتروني: gmail.com@yahoo.com@Dream.Pen92

رسائل متحررين

د. بسنت نشأت

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٢٣
مصمم الغلاف: زهو عبد الحميد
تدقيق لغوي: تقى البشلاوي
تنسيق: أميرة محمود
رقم الإيداع: ٢٠٢٣ /٥٤٢٢
978-977-6991-92-7:**I.S.B.N**

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من الوسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار.

الإهداء

إهداء إلى الأحبة الّذين فارقونا، ولم ننسهم أبدًا.

إلى الّذين ما زالت ذكراهم الطيبة عالقة بقلوبنا وعقولنا.. إلى الحاضرين معنا دائمًا رغم مغادرتهم هذا العالم.

رحمكم الله جميعًا وأسكنكم فسيح جناته.

المقدمة

عندما يكون الجَاني هو نفسه المجنِي عليه "الضحية"، وعندما يكون القَاتل والمقتُول هو نفس الشخص،

وعندما يتحول المجرُوح لجارح... جارح لنفسِه ... أولئك هم القتلى لأنفسهم، أو كما يُسَمون المنتحرون.

أتمنى أن تعيش مع كل قصة، وتستشعر آلامهم ولِمَ يفعلوا ذلك، وأن تكون رحيمًا مع هذه

الشخصيات التي لم يرحمها الناس ولا الزمان.

بسنت نشأت

خُلق الإنسان ضعيفاً

غالبًا ما يمرون بجوارنا، وهم لا يرونا أو ينظرون لنا نظرة شفقة وعلى بعضهم سمات المتنمرين، وغالبًا ما يجعلون شُغلهم الشاغِل هو جعلنا نشعر بالسوء تجاه أنفسنا، ثم يسألونا الآن من نحن؟ ولماذا نقتل أنفسنا في تعجب وبلاهة غريبة طابعة على وجوههم !..

أنا صنيعك..، لقد كنت أَجمل من أن أتَحمل كل هذا التشويه؛ كل هذا الخَراب الخارجي الذي يُريد أن يعكس ذاته دَاخلنا أيضًا.

نحن لا نقتل أنفسنا بسهولة أو لأننا نُريد هذا!

لا أحد حقًا يرغب بالموت، وإنه لصعب علينا أن نقتل حشرة، أوَ تدري كم صعب علينا أن نَقتل أنفسنا؟

ولكن حجم التمزق الخارجي الذي نسببه لأنفسنا لا يُساوي شيئًا في بحر النهش المستمر الذي يحدث في داخلنا؛ لأرواحنا وعقولنا ببطء، كمرض خبيث يتآخذ في النمو على حساب أنفسنا إلى أن يبلغ حَد الانتشار، وهو الحد الغير محتمل من الألم؛ ذلك الحد الذي لم تُجربه أنت لصلابة قلبك، ذلك القلب الفاتر المشاعر الذي يجعل عقل صاحبه يخنقنا جميعًا حتى نودي بحياتنا صوب التهلكة.

رسالة منتحر قتل نفسه وعائلته:

"كنت على ما وُلدت ضعيفًا، فلما عصفت بي الأزمات هزتني حتى أطاحت بي يمينًا ويسارًا، ولم أجد لها مخرجًا خفت أن تمزقني ومن حولي أكثر، فأردت قتلهم جميعًا وقتل نفسي كي ننجو من هذا العالم، وأزماته

كان هذا خَلاصنا من البشر الذين هم أساس شُرور الأرض.

العنقاء

(حكاية مُغتصَبة)

كُنتُ في سن السادسة عشر؛ أذهب إلى محل البقالة في الحي كعادتي لأشتري أشياء لي وللبيت في بداية الصباح والكل نيَام .

ذهبتُ ورجعت، ولكن شيئًا مني لم يعد كما كان حِين عدتُ للبيت، وأنا منهمرة في البكاء خفية على وجه أمي عندما سألتنِي ما بِي أجبتُ بما كان يحاول فعله معي،

بما فعله.. لقد أُغْتُصبتُ من قِبَل العَم!.

توقفت عيناها عليَّ في صدمة، ولكن أحد إخوتي سمع وتعصب، وذهب إلى الرجل وضربه.

أبي لم يكن يعلم الأمر فجاء، وفرق بينهما في العِراكْ، فصاح أخي في وجهه، ثم أخذه أبي من يده جرًا إلى البيت وقال له: "كيف تضرب رجلًا كبيرًا في السن ؟"

فصرخ في وجهه وقال: "لم ينل ما يَستحقه بعد".. ثم قصَّ ما فعله بحقي ذلك الرجل؛ فجاء أبي وصفعني صفعةً قوية ٍحتى كاد من فرطها أن يُمزق خدي، وأخذ يقول أني كاذبة وأنه هنا منذ زمن وكيف يفعل ذلك، وهو رجلٌ كبيرٌ في السن وله أولاد وأحفاد؛ كذبني أبي وعجن جسمي عجنًا.

أمي وهو أخذا يتحدثان في غضب بينهما، وتعهدا أن لا يُفشيا الأمر في العَلن؛ حتى لا أُفتضَح وتُفتضَح سيرتنا بين الناس، وأرادا تستِير الأمر فقررا أن يزوجوني كي يتخلصا من البلوى التي بالبيت كما قَال أبي على حد تعبيرِه، فأردت أن أُخلصه منها أنا بنفسِي وقتلتُها ... قتلتُ نفسي !.

لقد قتلني الرجل مرة عندما اغتصبنِي، ولكن أهلي قَتلوني ألف مرَّة قبلها حينما ضربُوني وكذبوني، وأرادوا بيعي سريعًا لأول مشتري للزواج لَمْ أكن لأريده.

فمتُ أنا، وعاش مُغتصبي !!..

كنتُ أرى بعدها أبي يمشي مُنحنِي الرأس أمام دكان ذلك الرجل، لا يُلقى السلام، ولا ينظر إليه أبى كعادته، ولم يعد يبعث بأحد بناته إليه مجددًا، لقد كان يعلم في قرارة نفسه، ولكنه فضَّل عدم التصديق إلى أن متُ أنا فصدمته بالحقائق في وجهه.

أما عن أخي فأراد أن يقتل ذلك الرجل، وهمَّ إلى سكينٍ من البيت، ولكن أبى صده حتى جرح أبي نفسه بها، وترجى أخي ألا يذهب كي لا تكون سيرتي وسيرة إخوتي بين الناس؛ حتى يعرف أن يزوج إخوتي في ستر وليس في عار.

أَكنتُ أنا عَار أبي !!...

وأمي أخذت تبكي بحرقةٍ وتمنع أخي أيضًا كي لا يُخرب حياته من أجل أختٍ له ماتت بلا رجعة، وأن قتله سيدخلهُ السجن ويُفسد حياة أخي في صغر سنه، وهو الولد الوحيد لهما على البنات؛ لا يريدا خسارته، فانهزم صاعُ أخي.

وحتى اشتغل أخي في القاهرة بعيدًا ولم يعد إليهما وإلى البيت مجددًا؛ لم يكن قادرًا على المُضي وكأن شيئًا لم يكن..

كان هو الحريص على زيارة قبري، كنت أراه دائمًا مُنكس الرأس عندي، مكسور الخاطر؛ لأنه لم يكن قويًا كفاية، ولكنه كان الوحيد الذي رفعني حين نكَّسني أبي !!.

أما عن إخوتي في البيت فلم يُذكر اسمي مجددًا بينهم، وأما الناس فظنوا أني قتلتُ نفسي لأنني أُرغمت على الزواج صغيرة من أحدٍ لا أريده، هذا ما ظنوه جميعًا.

أما عن أخي فلقد تزوج، وأسمَى ابنته باسمي "جميلة" وجميلة هي ..

ظل مقاطعًا لأهلي ولكنه ظل واصلًا للود معي، عند قبري، حتى أحضرها لأراها مرة عندي، لأول مرة شعرت كما كنت في طفولتي، وكأن الزمان

توقف قبل هذه الحادثة حين ابتسمت عند قبري عندما قال لها أخي " هي أختي وأسميتكِ باسمها، لقد كانت جميلة مثلك " .

شعرت نفسي وُلدت من جديد، و كأنني بُعثتُ من الرماد لأحيا حياة جديدة جميلة مع جميلة .

ثانوية عامة

منذ كنت صغيرًا، وكان كل ما حولي يشير لكوني طبيبًا، أسئلتي العلمية الكبيرة على الرغم من حداثة سني، اهتمامي وحبي للعب الدكتور الصغيرة، رغبتي في لبس "البالطو الأبيض" كالأطباء.

قد نما حلمي وأملي منذ كنت صغيرًا، وقد رأى والداي تفوقي في الدراسة، وعلمي علوم كمؤشر على نبوغي وقدرتي في الوصول إلى كلية الطب، فشَجعوني كثيرًا حتى أنهم وفروا لي "البالطو" وبعض الأدوات الطبية كالسماعة وجهاز الضغط.

كانت البسمة تعتلي وجوههم مع شعورِ الأمان، كانوا يصرفون كل ما لديهم حرفيًا على الكتب العلمية والطبية لكي أكون أفضل في دراستي ومجالي العلمي من أي أحد آخر، كنت طبيبًا في أعينهم حتى قبل الكلية.. الكلية التي لم أحصل عليها !.

كان كل شيء يسير مع خوف وترقب حتى ظهور نتيجتي ...ظُلمت وظُلم الكثير مثلي بسبب نظام التعليم الجديد وطريقة التصحيح، كانت صدمتي بالغة حين أدركت أنها النهاية، و أنني لن أدخل كلية الطب، ولن أحقق حُلمي ولكن ما كان أقسى على قلبي هي نظرة والداي وسكوتهم الشديد، لم يتكلموا معي كثيرًا من لحظتها، ولكن جملة واحدة قالوها حين علمنا أن مجموعي لن يأتي بأي شيء من التنسيق هذه السنة وهي

"ضاعت كلية الطب"، صمتهم وحُزنهم الشديد وكم الأموال التي دفعوا بها من أجل تعليمي وكلمة دكتور التي طالما دعاني بها جميع الأهل، والعائلة منذ كنت صغيرًا؛ لحُلمي الدائم بها والدفع المالي من أهلي رغم عجزهم ماديًا، كل مسببات السعادة لي انقلبتْ وصارت أداة تدمير تجُذني جذًا حد النهاية، لقد رأيت فيهم كسرتهم وحسرتهم كأنهم قد فقدوا كل ما لديهم حرفيًا.

أخذت بنفسي إلى حجرتي أُعاتب نفسي، وأجلدها حتى تجرع قلبي الآهات تلك الليلة، ثم في اليوم التالي عندما تأخرت في الخروج من الغرفة ولم أذهب خارج الحجرة جاءت أمي لتتفقدني ولكنها وجدتني لا أتحرك، فأخذت تهُزني هزًا حتى تيقنتْ أنى لم أعد حاضرًا روحيًا، وشيعوني وقامت الجنازة وسط أجواء حزن شديدة؛ لفقد شاب في حداثة سنه و موته هكذا، كانوا يقولون: "اتخطف بدري بدري وهو صغير!."

كنت ما زلت أسمع أصوات نحيبهم وأنا مُكفن هناك، ثم تهامس أحَدهم لآخر " هو مات إزاي؟!" فرد عليه قائلًا :" صحوا الصبح بيصحوه لقوه مش بيتحرك؛ كان ميت!"..."مات موته عاديه لوحده كدا ".

لقد كان على حق حينما قال له بأنه قد مات؛ ولكنها لم تكن موته عادية لا ...!

لقد قتلت نفسي ..! مرارًا و تكرارًا، أخذت أجرح قلبي بسكين ذاتي، وأخذت أجلدها وأجعلها تتحمل الويلات لعجزها وفشلها ولحزن الأهل وتضحيتهم على قضية خاسرة مثلي لا تستحق العيش، أخذت أُجردها وأجرحها وأوجعها حتى انفطر قلبي من الألم واعتصر عصرًا من داخله .. في هذه اللحظة تمنيت الموت، تمنيت الراحة ..وقد كان!.

لقد قتلتها وأرحت أهلي من عبئي، ومن شعور الوَهن والحُزن الذى خيَّم أرجاء المنزل، لم أكن لأُكلفهم المزيد على حلمٍ زائف وكلية "عادية"، كانت هي الطب وكفى، كنت أُهَيِّئ نفسي من لحظة وعيي في الدنيا وكلامي و كأنني طبيب، وحين أدركت أنني لا أطالها أخذت أنزع حق الحياة مني حتى رُحمت وعدتُ إلى طور الروح عند ودائع ربي !.

"آسف أني قتلت نفسي مرارًا وتكرارًا؛ ولكن النظام والظلم ونتيجة التعليم قتلتني أولًا وأوقعت أهلي أشد عذاب، وتحملنا خيبة وجودي، و حُلمي الباذخ على هذه الحياة، فحملته معي ورحلت عنها لعدل أفضل هناك"

صورة تشويهية

(فوتوشوب)

في أحد الأيام استيقظت وإذا بطنين مستمر من إشعارات الهاتف، كم هائل من الرسائل لم أفهم عن ماذا كان هذا حتى أدركت أن حسابي قد سُرق!، وكل صوري" أصبحت في الشارع" على مرأى من كل من عنده حساب على "السوشيال ميديا"، ولكنها لم تكن صوري أنا ..كنتُ أنا ولكن من دون حجاب، صور عارية الجسد، والشعر لي!، لم تكن أنا ولكنها كانت أنا في ذاتِ الوقت، أي حقير "هاكر" يمكنه أن يفعل ذلك بي، ليس فقط سرقة حسابي ولكن بهذه السرعة يستغل صوري الشخصية ليشوهها ويُظهرني كفتاةٍ عاهرةٍ سافرة الجسدِ !.

هلعت ولكنني بحثت سريعًا حتى أجد من يساعدني في رد حسابي، ووجدته واستردته، ولكن مازالت صور مسيئة لي تُنشر هنا وهناك حتى بعد استردَادها، ذلك الحقير مازال يتلاعب بصوري كيف يشاء ب "الفوتوشوب"؛ ليظهرني في "مواقع إباحية"!.

في اليوم التالي خرجتُ من منزلي لأُفكر وأنا في الشارع المقابل لنا استوقفني أحد الشباب من الجيران، وإذا بهم يتهامسون ويضحكون ويسخرون ويقتربون مني في الشارع، فصرخت في وجه هؤلاء الشباب المتلاعبين اللذين كانوا يحاولون السخرية والتحرش بي، فرد أحدهم" عاملة فيها شريفة دلوقتي وانتي صور جسمك منورة كل حتة!".

جملتُه قادتني للجنُون فصرخت بوجهه "إنتَ بتقول ايه !؟"، وأخذوا يتجاوزون حدودهم بالكلمات والإساءة والتلميحات القبِيحة عنى، فلمح أبي العائد من عمله هذا المشهد، وركض باتجاهي، وزجرهم جميعًا، فخرجتْ جارتي؛ والدة أحد هؤلاء الشبان، وقالت له في استهجان " بدل ما عمال تغلط وتعمل على عيالي إن بنتك شريفة، وطاهرة و مبتسبش سجادة الصلاة روح ربي بنتك الأول وشوف هي ماشية إزاي و بتعمل إيه!".

فثار غضب أبى و رد "بتقولي إيه يا ست انتي، انتي تتجرئي تجيبي سيرة بنتي على لسانك كدا إزاي ؟!"، فردت "بقول الحقيقة ولا شكلك مش عارف!، العيال بيقولولي صورتها على كل مواقع قلة الأدب وسريتها بقت في كل مكان" وأكملت "هي المنطقة ناقصة ناس زيكم يبقوا فيها .. معرفوش يربوا بنتهم .. وسايبنها تبوظلنا العيال!"

في هذه اللحظة خرج أبي عن طُوره حتى كاد أن يَضرب السيدة لولا أن جاء أهل المنطقة كلهم، وكانت مُشادة كبيرة حتى تفرقوا وأبي مذهول من الصدمة من كلام السيدة، فرويتُ له كيف أن حسابي قد سُرق، وأنني رأيت هذه الصور ولا أعرف كيف أصبحت هكذا!، فتشكك أبى للحظة وجلس صامتًا هامدًا ثم دخل حجرة المكتب وهو على وشك الانفجار

وطلب أن لا يَدخل عليه أحد، ولا يُزعجه أحد حتى يخرج هو، أما أنا فذهبتُ إلى غرفتي وبداخلي نار في قلبي وعقلي وأنا أستشيط غضبًا من هذه السيدة كيف لها أن تقول لأبي أن يُربي ابنتهُ، وهي لم تعرف أن تُربي أبناءها بالأصل!

هؤلاء هم أسوأ مجموعة شباب في الحي، وكيف لها أن تحدث أبي عن الصور، وتعنفه في الكلام ولكنها لم تتجرأ أن تزجر أبناءها عن كيف يشاهدون مثل هذه الأشياء الرزيلة القبيحة من البداية وكيف وصلوا لها!.

وانقضى الليل حتى جاء النهار وإذا بأبي في غرفتي بعد أن خرج من غرفة المكتب، وهو يقول لي "البسي ويلا بينا"

لم أسأله إلى أين، فقط فعلت كما قال وذهبت معه !.

جلسنا سويًا في مقهى منتظرين أحدهم أن يأتي لم أعلم مَن، فأخذ أبي في التحدث قائلًا "امبارح عملت اتصالات من المكتب و في حد هيقابلنا النهارده عشان نشوف موضوعك ده هو ضابط في قسم الشرطة وهيفيدنا نعمل ايه في مشكلتك " فجاء هذا الشخص وشرح أبي له الموقف فرد الضابط "هتقدم بلاغ في "مباحث الإنترنت"، واستنى

النتيجة، وهضبطلك مع قناة على التليفزيون بحيث تطلع انت وبنتك تحكوا اللي حصل عشان الموضوع ده يتعرف ... والشخص ده يبطل تشهير ببنتك وصورها بطريقة مش كويسة وعشان يبقى موقف بنتك برئ والموضوع صورته تبقى واضحة والحقيقة توصل "

سكت قليلًا ثم أكمل الضابط "بس الموضوع ده هيبقى ليه تبعات عليكم تقدر تستحملها؟" فتساءل أبى "قصدك ايه؟" فرد الرجل "يعنى كدا الموضوع هيبقى لعامة الناس أول ما يطلع في التليفزيون ولازم أنت وبنتك تكونوا جاهزين للي ممكن يحصل بعد كدا إن برده لما الموضوع ده يقف حتى لو الشخص متمسكش هتفضل صورة بنتك واللقاء التلفزيوني موجود في ذهن الناس اللي هتشوفه وتسمع الحوار ده على التليفزيون " فرد أبى متسرعًا "لو ده الصالح نعمله أهم حاجه الموضوع ده يخلص!" وبالفعل قد تم الأمر ..ولكن ما لم يتم هو أنني لم أتحمل تبعات هذا الأمر.

توقف النشر، ولم تعد لي صور مشوهة هنا وهناك، وقد عَرِف الناس الموضوع والحقيقة وظهرت قِصتي في الإعلام التلفزيوني، ولكن في خلال الثلاث سنوات التالية لهذا الأمر أخذنا في تغيير مكان سكننا، وعملنا أنا وأبي؛ بسبب نظرة الناس!.

وكأنه قد صَار هناك نقطة سوداء في ماضيّ يعرفها الجميع لا أستطيع محوها، نقطة لم أضعها أنا في حياتي، وضعها مُشوهي!، رغم أني لم أفعل شيئًا خطأ إلا أني عُوقبت بالكلام المتهامس، والنظرات كَوْنِي تلك الفتاة التي ظهرت والتي شاهدنا صورها على التلفزيون ومواقع التواصل، تبين أني في خلال ذلك ربما قد ساعدت في التسويق لهذا الحقير، ربما هو يضحك في مكان ما الآن وأنا ما زلت أُعاني كما أنا من ويلات هذا الأمر، إذ انتهى حوار "الهاكر" بدأ حوار قضيتي التي كانت على التلفاز، وفضول الناس قد يزيد أحيانًا إلى أن يسألني أحدهم عن تفاصيل هذا الموضوع أكتر، وهم في تَخوف على بناتهم اللائي يضعن صورهن على صفحة "الفيس" ويأخذون حِذرهم من ألا يكون مصير بناتهم كمصير هذه الفتاة المسكينة، لدرجة أن إحداهن قد قالت لي ذات مرة "يعيني يا بنتي حصل معاكي كل ده، بس انتي غلطانة بردو؛ كان لازم متنزليش صورك على "الفيس" كدا وحسابك يتسرق واللي على تليفونك يبقى مع أي حد، أبوكي كان لازم يبقى متابعك بردو ويفهمك إن كدا غلط مينفعش ألا يحصل حاجه غلط تأذيكي وأهو حصل فعلًا" لم أعرف أَهي تخاف وتشفق عليَّ كابنتها أم أنها تُعَيِّرني وتعتب عليَّ أنا وأبي بأننا مخطئين وخطائين من البداية، وأننا نتشارك الجريمة مع الجاني والمذنب " الهاكر الحقيقي"،

وكأنها كانت تضع لي السُّم في العسل بكلامها هذا لم أعرف كيف كان يُفترض أن أرد أو أتفاعل عليه!.

سئمت الكلام ونظرات الناس، هي لعنة كلعنة مواقع التواصل الاجتماعي، منذ هذه الحادثة قطعت كل صلتي بما يسمى مواقع التواصل الاجتماعي، إنها كانت الفيروس الذي ساعد الجاني على أن يُطيح بي أرضًا من بعد عُلوٍ وكرامة .

وما كان يوجعني تحمل أهلي هذا الذنب معي، حتى في ليلة عدتُ للمنزل وهما كانا يتناقشان في أمر اضطرارنا للانتقال لمكان آخر مرة أخرى، كنتُ متعبة هذه المرة لم أرد الرحيل أردت البقاء، وأخذتُ أجادل أبي وأمي الذين توقف كلامهما بقولي "لا أريد هذا".. فغضب أبي وقال في لحظة "مفيش حاجه تانية في ايدي أعملها، أنا مخترتش إن يكون ليا ابنه تنشر صورها على الفيس، وبعدين يجي واحد يشوه صورتها وصورتنا في كل حاجه، كان فيه إيه في ايدي أعمله ومعملتوش!..من أول بيتنا القديم، وأنا مسكت الشباب اللي وقفولك وهزأتهم همه وأهلهم وعلمتهم الأدب من أول الحوار والتليفزيون والموضوع اللي حط على دماغنا، في كل مرة بضطر أبلع فيها كلام حد من العمال في الشغل عنك وعننا لحد ما

خلاص، بغير شغل ومكان واحد واتنين وتلاتة عشان تكونوا مرتاحين وتقدري تعيشي من غير ما أحسسك بكل ده " فصرخت والدموع تنهمر من عيني "بس أنا حاسة بكل ده!".. فهدأ أبى قليلًا ثم قال: "احنا بنعمل كدا عشان نعرف نعيش ونكمل ونعدي الوضع ده."، فرددتُ عليه " احنا كدا مش بنعيش، إحنا كدا بنهرب وعمرنا ما عدينا الموقف ده من تلات سنين واحنا مش مرتاحين لو دي هتبقى عيشتنا بعد كدا لو أنا السبب في كل ده يبقى مش مهم إني أعيش!." وتركت لهما البيت وصعدت إلى سطح المنزل، هدأ انفطار قلبي قليلًا ثم نزلت وكانا ينتظراني، جلسا معي قليلًا ليتحدثا فقال أبي :" إنتي بنتنا وإحنا خايفين عليكي مش عاوزين حاجه تمسنا ولا تمسك بس مش هينفع نكمل هنا." وأومأت أمي مصدقة على كلماته، فحركت رأسي وفمي للموافقة، وتركتهما وذهبتُ إلى غرفتي.

في هذه الليلة لم تكفي المسكنات ولا المهدئات، ولا المنومات أن تهون عليَّ يومي، لا شيء منها عاد يساعدني على التحمل.

في صباح اليوم التالي تناولت الفطور مع أبي وأمي وتناقشا على أننا سوف ننتقل في خلال هذين اليومين، كنت مؤيدةً لم يقولانه وحضنتهما طويلًا وابتسمت في وجهيهما ابتسامة لم أبتسمها لنفسي ولهما منذ هذه الحادثة، كانت أول مرة أسترجع بشاشتي وابتسامتي وشعوري بالرضا

والسكينة منذ ثلاث سنوات، أحسا بارتياح، ثم استأذنتهما أنني سوف أذهب للسطح لاستنشاق الهواء مرة أخيرة قبل الرحيل.

صعدت ووقفت عند السور، ونظرت إلى السماء ثم تنفست الصعداء ثم لم أجد نفسي إلا وأنا على الأرض!.

كنت غارقة في دمائي أنظرُ إلى المشهد الأخير من حياتي، مشهد وفاتي!.

ها أنا الآن أتنفس وأبتسم مجددًا لأول مرة ولآخر مرة في هذا اليوم، سمع والدايَّ الصراخ من الشارع فنظرا وإذا بابنتهما مُلقاة على الأرض غارقة في الدماء، هلعا وجريا باتجاهي وجاءت الإسعاف ولكن كان الآوان قد فات، هذه المرة لم يعد هناك شيء ليفعلوه لمحاولة إنقاذي من الغرق في أزماتي النفسية على مدار الثلاث سنوات الماضية.

أخيرًا أدركا أنني كنتُ أحتضنهما وأودعهما الوداع الأخير.

الآن بإمكان قاتلي أن يستريح، لم يعد هناك حاجة ل "فوتوشوب" وأن يبذل وقته ومجهوده لكي يشوه صورتي، الآن هي الصورة المشوهة المثالية .. هذه المرة هي حقيقية !.

وردة فصل الخريف

(قُتلت بالحب)

وردةُ أنا ولكن فصلي هو الخريف، محكوم على نفسي بالموت قبل أن أحيا لأزْهر في الربيع التالي.

اسمي "وردة"، طالبة بكلية الآداب، أحب الشعر، وهذه هي أخر رسالة لي تركتها في هذه الدنيا ...

كوردة في مواجهة رياح عاتية أنا شعرت

كحملٍ عالقٍ في سياج المزرعة حُوصِرت

كما يقتل البشر بعضهم بعضًا قد قُتلت

كمريض يلفظ آخر أنفاسه قد صُرعت

تعثرتْ في أجواء الهوى ومتُ اختناقًا بالعسل

الحلو لم يعد له وجود فقط العلقم موجود

وأحلام العسل تقتل صاحبها الحلوم

لِمَ لَمْ تأخذ روحي بكل بساطة ؟!

لِمَ كان لابد من وجود هشاشة؟

أَلم يخترع البشر دواء للألم بعد ؟

ولكن كيف وهم من زرعوا فينا الألم

إذاً ما عاد في هذا الموضوع من أمل

لا تحدثني عن الزمان وعن المكان

فأنا لا أنتمي إلى مثل هذا الكيان

ربما يوجد طريق ولكنه لا يظهر أبدًا

أهي العتمة في الظلام أم أنها اللاأمد

يغيث مَن ويرحم مَن !

أَمَا من قلب ليعلم عن !

الغضب والحزن ما يتبقى

من بعض معانٍ قد رقَّت

إنها الخُدعةُ كالسحر

إنه الموت يأتي غُرا

اعطيني قلبًا لأكسره

و جسدًا كي أُهشمه

فلا العقل عاد موجود

وها القلب بات معدوم..

والروح عالقة لا هي تذهب إلى ربها

ولا هي تعود إلى وعائها

أغمض عيناك وابتسم

فها هي النهاية تقترب

أحقًا !!

قد عفوا عن الروح بالموت

هاه.. لا مزيد من التفلل

اغرس سكينك وانزعها

فاليوم ما عدت أنفعها

وأدْفنها في ثنايا الزمانِ

واخبروها عني في بعض الأحيان

ها قد عادت إلى الدار

رفيقة الدهر

في القبر

عسى أن يوجد الأمان

من غابات الزمان

فلا حزن ولا أَجيَّاف

يا صاحب الكفاف

وداعًا يا جميعًا

فرقني الله عنكم جميعًا .

تريدون أن تسمعوا قصتي؟ ها هي ..

رُزق أبي وأمي بابنتين توأمتين قررا تسمية إحداهما "وئام" و الأخرى "وردة".

أسماء توحي بالحب والربيع والإزهار والبهجة، ولكن الحقيقة أن ما واجهناه في هذه الدنيا عكس ذلك تمامًا، كانت رياح عاتية، تحمل معنى الفراق والانفصال والموت.

أجل ما قرأتموه وما تبادر إلى أذهانكم كان صحيحًا، كان لدي توأم، أخت حنونة،جميلة جدًا قلبًا وقالبًا، سرقها منى سارقٌ، جاء ليسرق منزلنا في الليل وحين استيقظت أختي من النوم ورأته قتلها بدم بارد، كنت ما أزال في المرحلة الثانوية حين حدث ذلك، لم تكن لدينا الفرصة لنعيش شبابنا معًا، هذا الحادث قتلني، فقدت نصفي الآخر و اكتمالي، بسبب سارق أراد أن يختلس ما يستطيع ويذهب، في أيام جنازتها هناك شيء ظللت أتمناه ألا وهو أخت نومها ثقيل، ماذا لو لم تستيقظ أختي وسرق ما سرق ورحل؟ هل هناك ما هو أصعب من أن يسرق إنسان إنسانًا كان أعز ما لدى شخصًا آخر؟ تمنيتُ لو أخذ كل شيء وترك أختي، كانت صغيرة، ما كانت تستحق أن تُطعن بسكين، كنتُ أريد أن تكون لحظاتنا الأخيرة معًا كما خُلقنا ووُجِدنا معاً على هذه الدنيا، ولكن كان للقدر رأي أخر.

منذ هذه الحادثة اهتز بيتنا، حاولت التظاهر بالصمود وأني أتجاوز هذا الأمر من غير نقص أو فراغ، وكأني غير منزوعة الروح وغير مسلوبة الرفيق، استمر والديَّ في محاولة تجاوز الأمر، ولكن علاقتهما لم تعد كما كانت أبدًا لم يتمكن الاثنان من الاستمرار في زواجهما، كان يُذَّكر إحداهما الآخر بابنتهما المحبوبة في كل مرة ينظران إليَّ وإلى نفسيهما، ظلا يتنازعان وكلا منهما كان نصف ميت مع رحيل "وئام"، حتى فشلا في الاستمرار هكذا وكان طلاقهما النتيجة.

أنا الآن في حيرة لأيهما قلبي منكسر أكثر، فراق أختي وتوأمي ومصدر اكتمالي (لا يستطيع التوأم أن يعيش بدون الأخر؛ منفصلَين، لأنه لو كان غير ذلك صحيحًا لما كنا توأم منذ البداية وما كنا سويًا)، أم انفصال أهلي وتشتت أسرتي حتى ما عادا يرونني وأصبحا كائنات منطفئة بعيدة .

أخذ ألمي يزداد مع الوقت رغم أنهم يقولون أن الوقت يداوي، ولكنه لم يداوي أي جرح بي، هو فقط جعلني أعتاد عليه، ومرت الأيام حتى وصلت إلى المرحلة الجامعية، وتمكنتْ من التعايش قليلًا مع حقيقة فقدان ما أحب، وانفصال أهلي واضطراري للعيش مع جدتي وكل من أبي وأمي يعيشان حياتهما الخاصة بعيدًا عني .

كان كل شيء عاديًا .. كئيبًا.. مملًا في حياتي كعادته، وأيامي تمضي متشابهة في تتابع حتى ظهرت الفراشات في قلبي!

في كل مرةً كنتُ أراه كانت الفراشات تتطاير حولي فرحًا، كان قلبي نابضًا على غير عادته، لم أستطع التحكم به، حاولت ولكن إعجابي به كان غامرًا، كان رفيقي في أبحاث الكلية وكان معي في التدريب العملي تشاركنا الكثير سويًا، وكان هو في مجموعتي دائمًا، حتى أننا كنا سويًا في الأعمال التطوعية، تدربنا سوياً على خشبة المسرح، وأنشطة الكلية في كل مرة كنت أُلقي الشعر في مسابقة أو على المسرح، كان يصفق لي هناك بحرارة، وينظر إليَّ، كان يخبرني كم أن أشعاري جميلة ومؤثرة، كان يخبرني عن كم أن هذه القصيدة تلمسه، و كم أنه حين يشاهدني يتمنى لو أن هذه الكلمات والعاطفة الجياشة فيها قد كُتبت له؛ هي بالفعل قد كُتبت له، ولكن من دون أن يعلم، كان هو الشخص الذي أكتب من أجله كل هذه القصائد، كان كل هذا الحب الشاعري له.

عاد نبض الحياة لي مجددًا، في كل مرة كنت أمضي فيها من المنزل إلى الدراسة كانت السعادة تغمرني، الابتسامة طاغية على وجهي كل صباح، كان يبهرني بذكائه، ومرحه، وطلة روحه المميزة جدًا، تعامله وحسن خلقه مع الأخرين، اهتمامه بتفاصيلي؛ حتى أنه في كل مقابلة عمل جزئي كان

يسألني دائمًا عن كيف كان يومي، وعن كل اختبار أدخله إن كنت أديت جيدًا أو كيف كان الأمر معي؟ يتابعني في كل جديد، وأنا أسأله عن كل جديد عنده أيضًا، كما كنا نتشارك مناقشات أدبية كثيرة، فكلانا محب للقراءة شغوف بها، مُطلع عليها، فنتشارك أراءنا وتعليقاتنا عليها ونرشح لأحدنا كتب معينة للتشاور فيها فلسفيًا وأدبيًا.

كنت متأكدة من مشاعري نحوه، صادقة وواثقة من حبي، كنتُ في انتظار اعترافه لي هو الآخر بحبه، في انتظار خطوته الأولى، في انتظار اليوم الذي سيتقدم لي فيه أخيرًا.

هو اعترف؛ اعترف بحبه مستخدمًا إحدى قصائدي الرومانسية، تلك القصيدة التي كتبتها وأنا قلبي عامر به، هو اعترف بحبه ولكن ليس لي إنما لصديقتي المقربة التي كانت معنا في مجموعتنا، و في أنشطتنا الأخرى!، لا أستطيع أن أعبر عن كم الألم الذي أحاط بي وقتها، كان شعوري كما لو أن أحدهم طعنني في قلبي، تمنيت لو أن أحدهم طعنني في قلبي على ألا أعيش ذلك الألم والشعور مجددًا، لماذا محكوم عليَّ بفقد من أُحب، أليس هناك نصيب من السعادة لي في هذا الكون!،

أَ كثير عليَّ أن أَبتسم، أفرح وأعيش سنوات طويلة سعيدة مع من أحب؟

وما زاد ألمي أكثر حين حاولت أن أُصرح له بعدها بحبي له وأن أفهم لِمَ كان قريبًا مني هكذا إن كانت مشاعره لصديقتي وليس لي، لِمَ وكيف لم ألاحظ مشاعرهما تجاه بعضهما البعض ؟

كانت صدمتي حين علمت الحقيقة؛ حقيقة أن مشاعره في البداية كانت لي لذا كان يحاول أن يكون قريبًا مني أغلب الوقت؛ ولكنه حين فكر في الزواج والارتباط علم بتفاصيل أهلي وحياتي وحقيقة أسرتي المفككة، وأن تكوين أسرة سليمة من أهم الأمور لديه، وأن أهله أيضًا يأخذون هذا الأمر بعين الاعتبار، وأنه لابد من الارتباط بعائلة ذات "حسب ونسب" مثلهم، وأنه لاحظ صديقتي المقربة تزامنًا مع رفضهم وكم أنها مميزة أيضًا، حتى جاءت وصرحت له بمشاعرها نحوه، فأخذه هذا إلى التقرب منها والتفكير فيها إلى أن قرر أن يتقدم لخطبتها، ويعرض عليها الزواج .

ما يجعلني منهارةً أكثر حقيقة أن صديقتي هذه كانت تعلم بمشاعري نحوه، حتى أنها استغلت معرفتي بتفاصيله، وما يحب ويكره للتقرب منه، وإسراعها للاعتراف بحبها له قبل أن يحاول هو قول ذلك لها، خُذلت من قِبَل من ظننت أنها صديقةٌ لي، وخُذلت ممن أحببت، ممن نظر لي نظرة شفقة، ممن استغلت طيبتي وغبائي، و كَوْن أن انفصال أهلي وحادثة السنين الماضية سوف تأتي لكي تطاردني و توجعني مجددًا، لن أتخطاها

أبدًا لأن غيري لم يتخطاها، لأن من أحببت همه أمر ووضع عائلتي قبل أن يهمه أمرى!.

خذلت أن قصيدة حبي تحولت لسُم يتأوه قلبي له، كيف استغلوا قصديتي لهما، وكأني تعرضت للخيانة، لسرقة قلبي ولاستغلال عاطفتي، لقد تم استغلالي بنجاح، و تفتيت قلبي من جديد حتى عدتُ كما كنت مجرد حطام في الطريق، يكاد المرء من فرط الأذى أن يتقيأ قلبه.

فعدت مسرعةً إلى بيتي، ظللت أيامًا أعاني دون أن تشعر جَدتي بي ودُون أن يهتم أبوايَ لزيارتي والاطمئنان عليَّ من آن لآن، دون أن يحتضنني أحدهم ويقول لي أن كل شيء سيكون على ما يرام.

في يوم قررت كتابة آخر قصيدة لي؛ لكي أُنهي معاناتي التي بدأت بقصيدة حب وانتهت بتَسمُمي، قررت هذه المرة أن أكتب قصيدة موتي بدلًا من قصيدة حبي التي سمَّمت قلبي في النهاية.

انتظرت حتى ذهبت جدتي للخارج لزيارة أحدهم، مشيت للحمام وأخذت سكين المطبخ في يدي، وجلست على الأرض أذرف أخر دمعة لي قبل أن آخذ السكين لأقطع بها شرايين يدى، أغمضت عيني، ووضعت السكين عند يدي وأخذت أجره من بداية شراييني لأجرح نفسي، وأنزف حتى

الموت، ولكن طيفًا جاءني في أثناء ما كنت مُغمضة، كان شخصًا اعتدته، شخصٌ تمنيتُ وجوده معي، كان طيف أختي "وئام"، آهٍ كم اشتقت إليك!! قالت لي جملة واحدة فقط ورحلت قالت :"لا تفعليها"؛ لذا توقفت في عُجالة ورميت السكين من يدي، وأخذتُ قطنًا ورباطًا طبيًا ولففت الجُرح في يدي سريعًا كي لا ينزف أو يسوء الأمر أكثر، وقررت أن لا أفعل مثل هذا الأمر أبدًا وأن أقدر الحياة التي أرادتني أختي أن أحياها، وأن لا أفعل ما يؤذي نفسي أكثر، وأنه يكفي أذية الأخرين لي، نعم، يمكنني أن أفعل ذلك، يمكنني أن أستمر في المقاومة، يمكنني أن أحب الحياة من جديد كما أحبتها أختي.

حين بدأت في أن أستيقظ من صدمتي، ومشيت في اتجاه الصالة لكي أُعيد السكين، رن جرس الباب، فتوترت قليلًا، وضعت السكين على كرسي من كراسي المائدة القديمة التي يصل مِفرشها القديم الطويل إلى الكراسي إلى أن يغطيها، وفتحت الباب فإذا بمحمد، رفيق لي من الكلية كان من ضمن أصدقائنا كان حزينًا وغاضبًا، لم أفهم لِمَ جاء إلى هنا، فأخذ يقول لي أَلهذا رفضتني؟ لأنك كنت تحبينه هو؟ أَلمْ يهمك أمري؟ أنا قضيتُ سنوات أُحبك، ولم تشعري بي، وحين جئتُ لكي أتقدم لك قوبلت بالرفض .. لماذا؟!

كنت خائفة من طريقة كلامه معي أخذت أسحب قدميَّ للخلف، وأتراجع خوفًا من تلك النظرة في عينيه، حينها كان يأخذ هو في التقدم خطوات للأمام إلى أن صار داخل الشقة، قال منفعلًا: "أنا عارف كل حاجه دلوقتي .. قولتي إنك رفضتيني بسبب رفضك إنك ترتبطي بواحد بيشرب سجاير، انتي عارفة بسبب رفضك ليا ده بقيت أتعاطى الحشيش، والمخدرات دلوقتي ... مقدرتش أتجاوزك أبدًا وفي المقابل انتي مكونتيش شيفاني حتي.. مكنتيش بتبصيلي بنفس النظرة اللي بتبصي له بيها ... دلوقتي ايه؟! هيتجوز صحبتك! ليه مقدرتيش تحبيني ... ليه مقبلتيش بيا زي ما كنتي هتقبلي بيه رغم كل حاجة؟"، ثم قلت وصوتي يرتعش "أنا رفضتك بسبب إن بابا وماما لما اتقدمتلي شافوا إنك مش مناسب ليا ... (نعم كان لهما حق التدخل في قرارتي المصيرية وإبداء رأيهما رغم أنهما انقطعا عن وجودهما ومشاركتهما لي في حياتي منذ زمن)، وقلبي مكنش ملكي في الوقت ده .. فقلنا السبب التافه ده عشان منجرحش مشاعرك"، فرد عليَّ غاضباً" ودلوقتي مشاعرك عامله إيه بعد ما اترفضتي من حبيب القلب؟! دلوقتي تقبلي تكوني معايا؟؟" توقف قلبي وعجز لساني عن الرد للحظات ثم قلت له "مقدرش" في اللحظة التي قلت فيها هذه الكلمة كان قد عقد العزم في قرارة نفسه، أَخرج سكينه من جيبه وطعنني طعنتين،

فوقعت على الأرض وأراد أن يُنهي الأمر فجعل الطعنة الأخيرة في قلبي ورحل.

ماذا فعلت أنا لأستحق أن أطعن ثلاث طعنات هكذا؟ حاولت التشبث بشيء أثناء ذلك فكان كرسي المائدة الذي وضعتُ عليه سكيني، فوقعت سكيني بجواري وأنا ألفظ آخر نفس لي في هذه الدنيا، وانتهت قصتي، انتهى فصل وردة بطعنة سكينٍ كما انتهى فصل وئام.

حينما جاءت جدتي بعدها وكان باب الشقة مفتوحًا، وأنا ملقاة على الأرض غارقة في نزيف دمي، اتصلتْ بأهلي والشرطة في هلع، حين جاءت الشرطة وبدأت التحقيق في الواقعة قالت جدتي لهم أن أحدهم قد قتلني وطعنني أكيد، ولكنهم حينما رأوا سكيني الواقعة بجواري وبصماتي عليها، وعليها دمي وقصيدة انتحاري التي كنت قد كتبتها سابقًا في جيبي قالوا أنها عملية انتحار.

حين حاول أهلي رفض هذه الحقيقة بأن الباب كان مفتوحًا وأني لا يمكن أن أكون قد فعلت ذلك بنفسي، وحين أخذوا يبحثون في كاميرات الشارع ووجدوا أحدهم خارج المبنى وقتها، قالوا أنه يمكن أن يكون هو، فأكدت الشرطة بأنه لا يوجد ما يثبت أنه فعلها، جاركم في البيت لم يكن موجودًا وقتها والشارع فارغًا، ولم يوجد أحد ليبلغ عن ذلك وأنه ليس منطقيًا أن

يضعوا أحدهم في السجن لمجرد أنه كان موجودًا عند البيت وقتها، وأنه لا توجد كاميرات داخل البيت والمدخل لكي يتبينوا حقيقة هذه الواقعة، ولكنهم رغم ذلك بحثوا عنه، كي ينهوا الشك وإجراءات الواقعة تمامًا، ولكن حين قال أنه لم يفعلها، لم تهتم الشرطة كثيرًا ولم تضغط عليه، رغم أن جدتي قد قالت بأن هذا كان صديقي في الكلية، وكان قد جاء ليتقدم لي، ولكنه علق على وجوده في الجوار في نفس الشارع وذلك لأن منزله على مقربة منا وأن هذه ليست أول مرة يكون فيها في هذا الشارع، وأنه لا يوجد ما يقول أنه فعله كي يضعوه هنا، وأنه لا يمكن أن يقتل أحد أحدًا أحبه خصوصًا أنه قد فات على هذا الأمر أشهر كثيرة، وأنه إذا كانت هذه نيته حقًا فكان لابد أن يفعلها وقتها؛ أن يقتلها حين رفضته تمامًا منذ أشهر، فلم تجد الشرطة ما يثبت عكس ذلك، ولم يجدوا على كلامه وحجته غبار فتركوه يمضى في سبيله، وأما تعقيبهم عن وجود باب الشقة مفتوحًا هو أنني ربما قررت فتحه قبل أن أقرر طعن نفسى كي ألفت الأنظار لي، وأجعلهم يرون حادثة انتحاري بوضوح .

وقُفل محضر واقعتي بفتاة قررت الانتحار وطعن نفسها بالسكين في شقتها.

أخيرًا إن كانت هناك رسالة تمنيت لو أنى كتبتُها وحملتها في جيبي بدلاً من قصدتي، وسكيني الذي كان سبب هلاكي، هي لو أنني اخترت أن لا أحب لما كان قد عاد الألم مجددًا وكأنه يخبرني أنني لن أنجو منه، ولكننا لا نهدم من الخارج أولًا، بل نهدم من الداخل، ثم يسهل إلينا الاختراق.

ولكن ربما محكوم عليَّ أنا وأختي أن نُقتل طعنًا بسكين، ربما كان من المفترض أن نموت سويًا تلك الليلة، وألا ننفصل أبدًا، تأخرت عليك يا توأمي ولكن ها أنا الآن ألاقاكِ، عزائي الوحيد هو أني في آخر لحظة قررت ألا أقتل نفسي، ربما الآن يا أختي سوف يكون لنا مكانًا سويًا في الجنة، نعم؛ فلهذا منعتني من الانتحار كي يكون لي نصيبٌ معك في الجنة عند رب السماء والأرض.

أخر رسالة قبل الرحيل" لا تأخذ بيد أحدٍ لتتركه في منتصف الطريق، دعه واقفًا في مكانه على الرصيف، قد يكون الرصيف أكثر أمنًا له منك، لا تتركه عُرضةً لأحزان العجز، ومحط دعسٍ لذكريات الخطوات الأولى، لا تعبر به طريقًا لن تُكمله معه."

"ازرعوا ورودكم، فلم يعد فينا غير أشواكُكم

وقد زبُلت أزهارنا وعصفت بها رياح الخريف."

-وردة فصل الخريف

الخاتمة

أياً كان السبب الذي يدفعك أن تفكر في قتل نفسك، أيًا كان السبب الذي يدفعك لذلك،

من فضلك .....

"لا تفعل"

لا تفرط في نفسك...حياتك ثمينة جدًا.

الفهرس

الإهداء.....٣

المقدمة.....٤

خُلق الإنسان ضعيفاً.....٥

العنقاء (حكاية مُغتصَبة).....٨

ثانوية عامة.....١٣

صورة تشويهية (فوتوشوب).....١٧

وردة فصل الخريف (قتلت بالحب).....٢٧

الخاتمة.....٤٤